المقاربة الوظيفية fonctionnalisme

ماهي الوظيفية:

الوظيفية تاريخيا تلت المدرسة التطورية التي هيمنت خلال بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر بامتياز، تبدأ في التراجع مع نهايته لتملأ الوظيفية المشهد المعرفي بداية القرن العشرين، بصفتها حسب جيرار لوك لارك 1990 نظرية او جسما نظاميا موحدا لا مجرد الهام أو تحليلات مشتركة لعدد من الباحثين مهما كان التباعد المنهجي بينهم كبيرا.

وعرفت المقاربات الوظيفية مجدها سنوات (1940 –1950) في اللسانيات والعلوم الاجتماعية (علم الاجتماع والانثروبولوجيا) بل امتد أثرها حتى الى العلوم الطبيعية والكيمياء والميكانيكا قبل ان تشهد تراجعا لاحقا.

وتعتبر الوظيفية فلسفيا نظرية عن الفكر تقول ان الحالات الفكرية (الاعتقادات الرغبات المعاناة من الألم...الخ) تتألف حصرا من دورها الوظيفي أي أنها علاقات سببية، لحالات فكرية أخرى ولمدخلات حسية ولمخرجات سلوكية وهذه الحالات منشغلة فقط بوظائف الدماغ الفعالة من خلال تنظيمها لبرمجيات عمل الفكر.

اما في العلوم الاجتماعية تنطلق الوظيفية من فكرة أن لكل عنصر من العناصر وظيفة في توازن النظام الاجتماعي العام القائم في المجتمع والمقصود طبقا بالوظيفة غير الدور المهني فللمهنة وظيفة ولكن للطاولة أيضا وظيفة وكذلك أيضا بالنسبة للقيم والمعارف وهي كلها وظائف اجتماعية ترتبط بنظام اجتماعي محدد يتميز بتوازن داخلي يعدل لصالحه بشكل مستمر جميع هذه الوظائف.

إذا فكما أن للقلم وظيفة الكتابة وللسيارة وظيفة التنقل فكذلك في العالم الحي تستخدم المعدة للهضم، والعصب لنقل معلومات الأعضاء إلى الدماغ...الخ ففي كل الأجهزة الحية نجد أن لكل عضو وظيفة

محددة ينظر المجموع، وهذا الإقرار ظهرت مختلف المقاربات الوظيفية في العلوم الإنسانية اذ انطلقت من الفكرة التي تقول أن اللغة (وعناصرها المكونة) والمجتمع (المدرسة، الأسرة، الدولة، الشعائر، والأساطير) والمهارات العقلية (ذاكرة، ذكاء، وعي...) يمكن فهمها انطلاقا من وظيفتها وسط المجموعة وظيفة الشعائر الاساطير تقوم على ربط الناس فيما بينهم، وتقوم وظيفة الدين على نشر القيم الثقافية يجب فهم كل عنصر او ظاهرة اجتماعية بوصفه عنصرا وظائفيا كما لو كان قطعة في آلة.

المقاربة الوظيفية والعلوم الإنسانية:

المقاربة الوظيفية في الانثروبولوجيا:

انتشر الاتجاه الوظيفي في الأنثروبولوجيا عبر كتابات العالمين البريطانيين برونيسلو مالينوفسكي (1884 –1942) وراد كليف براون (1881 /1955) وتكشف متابعة دلالة لفظة وظيفية داخل هذا التيار الأنثروبولوجي مفهوما خاصا لمالينوفسكي استفاد الى حد بعيد من نظريات بيولوجية في ظل معادلة دقيقة بين الثقافة والجسد" فالثقافة في رأيه عبارة عن كائن وظيفي متكامل يماثل الكائن الحي بحيث لا يمكن فهم دور أو وظيفة أي عضو من أعضائه إلا في ضوء علاقته بباقي أعضاء الجسم وهكذا فإن دراسة الوظيفة التي يؤديها كل عنصر ثقافي تمكن الباحث الأنثروبولوجي من اكتشاف أهميته وضرورته. ومن جهته قارب براون مفهوم البناء الاجتماعي من زاوية شموليته كل العلاقات التي تقوم بين شخص وآخر كما يدخل أيضا بين الأفراد والطبقات بحسب أدوارهم الاجتماعية"

الوظيفية وعلم الاجتماع:

يعتبر الاتجاه الوظيفي المنظور السائد والأقدم والمبني على توكيد تطبيق القواعد العلمية المستخدمة في العلوم الطبيعية على العلوم الاجتماعية التي ينظر اليها على انها حقيقة موضوعية، وعلى اللجوء إلى التماثل بين سلوك الكائن البشري والسلوك المجتمعي فالمجتمع ليس إلا مجموعة من أجزاء تعتمد على بعضها البعض وتميل إلى التوازن فيما بينها كذلك يرون أن هناك متطلبات وظيفية يجب أن تتحقق لكي

يدوم المجتمع، واشهر الكتابات في هذا الشأن نجد كتابات روبرت ك مرتون و تالكوت برسونزين 1930- 1960 .

الوظيفية في اللسانيات:

ارتبطت الوظيفية بمدرسة براغ ورومان جاكبسون و أندري مارتيني نقطة الانطلاق الأولى هي فكرة وجود وظائف متعددة في اللغة (جاكبسون) وحيث لا يشكل انتقال المعلومات إلا وظيفة من بين وظائف أخرى (عاطفية، شعرية، وما بعد لغوية...الخ) حتى ندرك وظيفة المعلومة يجب أن نعرف من اللغة العناصر التي تلعب دورا وظائفيا.

الوظيفية في علم النفس:

شكلت الوظيفية أولا مدرسة فكرية كان ويليام جيمس 1842 -1910 ممثلها الأساسي بين القرنين 19 -20 تطرق الى مسالة الوعي الإنساني باستخدام عبارة الوظيفة تأثر بشارل داروين ثم تطرق الى الإدراك والوعي انطلاقا من دوره التكييفي، هكذا لا تدرك العين المحيط كما هو بل تبعا لحاجات حفظ بقاء العضو ويستخدم الفرد الذاكرة أو الوعي لحل مسائل يصادفها في محيطه تبعا لهذه الرؤية الذرائعية تدور المعرفة حول المنفعة لا حول الحقيقة.

خلاصة:

لقد تعددت المقاربات العلمية إذ اختلف تأثيرها من علم إلى آخر ومن حقبة زمنية إلى أخرى، حيث سيطرت مثلا الوجودية على الساحة المعرفية في حقبة الخمسينات، ثم أخذت البنيوية والوظيفية مكان التطورية في الستينات، وفي مطلع الثمانينات ظهرت حركة فكرية جديدة وكثيرا ما يستعمل مفكريها الاتجاه التفكيكي النقدي للنصوص كما يظهر ذلك في أعمال جان فرانسوا ليوتار

(1924– 1998) فلاسفة الاختلاف الفرنسيون ميشال فوكو(1926 –1984) وجاك دريدا

(1930 –2004) وجيل دلوز (1925 –1995) وغيرهم هذه الحركة الفكرية الناقدة لفكرة ومعرفتة عصر الأنوار والحداثة التي تسمى الحداثة المتقدمة أو ما بعد الحداثة postmodernité وهي حركة في سيرورة وتقدم ذلك أن التطور التام الذي يخص شروطها لم يكتمل بعد لهذا لم ندرجها بالتفصيل ضمن المقاربات العلمية إضافة إلى الوقت الغير الكافي.

كما تعددت المقاربات العلمية تعددت وتشعبت أكثر التيارات الفلسفية إلى حد التناقض الصارخ بينها بل إلى حد الميوعة والابتذال في الطرح في بعض الأحيان إلى درجة يخيل للقارئ أن هؤلاء لا يبحثون عن الحقيقة بل هم صناع الحقيقية مما يتبادر إلى الذهن سؤال هل هناك حقيقة واحدة في هذا العالم؟ أم حقائق متعددة؟ أعتقد أن حال هؤلاء الفلاسفة والمفكرين كحال العميان في المثل الانجليزي حيث طلب منهم وصف الفيل حينما وصف كل واحد منهم الجزء الذي تلمسه يداه فالأول وصف الخرطوم والثاني الإذن والثالث والظهر فكل خرج بحقيقته الجزئية وهو محق في ذلك والحقيقة تكمن في جمع كل تلك الحقائق الجزئية.

قائمة المراجع:

1- بوبكر بوخريسة: مذاهب الفكر الأساسية في العلوم الإنسانية، ط 1 منشورات الاختلاف الجزائر, منشورات ضفاف، لبنان، 2013.

2-جان فرانسوا دورتيه: معجم العلوم الإنسانية ترجمة جورج كتورة، ط2 مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, الإمارات العربية المتحدة , 2011.

3-كليفورد غيرتز :تأويل الثقافات ترجمة محمد بدوي، ط1 المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009.

4-برتراند تراودك: علم النفس الثقافي، ترجمة حكمة خوري وجوزيف بورزق، ط1، دار الفارابي، الإمارات العربية المتحدة، 2009.

5-الزهرة ابراهيم : الأنثروبولوجيا الثقافية، ط1 الناية للدراسات والنشر والتوزيع السوري ، 2009.

6-جون ليستر: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، ط1 ترجمة فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008 م .

7-عادل العوا: المذاهب الفلسفية ط10، منشورات جامعة دمشق سوريا 2006 م .

8-اندريه كريسون: تيارات الفكر الفلسفي ط 1، دار عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2017.

9-محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، ط 8 مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2014.

10-فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط1 مكتبة الانجلو مصرية، مصر، 2009.

11- طوني بينيت : ولورانس غرو سيرك ميغان موريس مفاتيح اصطلاحية جديدة، ترجمة سعيد الغانمي ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010.

12 مهما حداد: مدخل الى العلوم الاجتماعية ، ط1 دار مجدلاوي للنشر والتوزيع الأردن، 1992.

13-غناء سيربك ، نلز غولجي : تاريخ الفكر العربي، ط1 ترجمة حيدر الحاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، لبنان ، 2012.

14- أدم كوبر: الثقافة التفسير الأنثروبولوجي ترجمة صباح صديق الدملوجي، ط1 مركز الدراسات، الوحدة العربية لبنان، 2012.

15- عبد الغني عماد :سوسيولوجيا الثقافة ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.

16- إدغار موران: المنهج، ط1، ترجمة جمال شحيد المنظمة العربية للترجمة لبنان، 2012.

17- يمنى طريف الخولي: مشكلة العلوم الإنسانية ط، نيوبوك للنشر والتوزيع مصر، 2018.

18- رينيه ديكارت: مبادئ الفلسفة الإشراف العام محمود عطيه ط1، دار الحياة للنشر والتوزيع، مصر، 2017.

19-احمد فؤاد الاهواني جون ديوي، ط3 دار المعارف مصر، 1987.

20- فؤاد زكرياء نيتشه، ط3 دار المعارف مصر، 1991.

21- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ترجمة خالد احمد خليل، ط1 عويدات للنشر والطباعة لبنان، 2012.

22- يوسف كرم: فلسفة الوجود ط1 دار الحياة للنشر والتوزيع مصر 2017.

23- محمد حسن جهري بخيت: التيارات الفكرية المعاصرة، ط1 ، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2014.

24- سمية بديع: فلسفة الجسد، ط1 دار التنوير، تونس، 2009.

25- أندريه كونت: الفلسفة، ط1 ترجمة علي بوملحم، كلمة مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الإمارات العربية 2008.

26- رشيده عبه: وآخرون ابستمولوجيا العلوم الانسانية، ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2017.

27-هاوردس فريدمان ميريام وشستيك :الشخصية ترجمة أحمد رمو ، ط1 المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2013.

28- رؤوف سعيد الحناوي: اللاوعي الجمعي، ط1 الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2009.

29 -Élisabeth roudinesco et Michel plon, dictionnaire de la psychanalyse, 4e édition librairie arthème fayard ,Paris, 2011.

30- André conte ,sponville ,dictionnaire de la philosophique ,4e édition ,presse universitaire, de France ,Paris, 2013.